الخطبة الخمسون

الخلط في فهم النصوص

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، أما بعد:

في الشريعة الإسلامية المباركة تفريق بين الذنوب والمعاصي والآثام والفواحش والمنكر؛ والشرك والكفر والجحود والنكران، هناك فرق كبير، وهناك آيات وأحاديث تخص الطرفين المذكورين، ولكن بعض من يدّعي العلم يخلط بين هذين الأمرين، ويأخذ من النصوص القرآنية أو النبوية التي تخص طرفًا ويطبقها على الطرف الآخر، أو أن بعض الألفاظ القرآنية والتي تخص طرفًا واحداً فقط فيطبقها على الطرف الآخر.

وحيث أني ذكرت ذلك فدعني أستخدم اللفظ القرآني: (حبط)، والذي يخص الشرك والكفر والجحود والكراهية المخرجة من الملّة، أو الاستهتار المخرج من الملة، أو الاستهزاء والسخرية المخرجة من الملّة، فيضع كلمة: (حبط) مع المعاصي والذنوب أو الكبائر، وهذا هو الخلط الشنيع الذي أقصده، فمثلاً قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: 47/ 33]، ولا تبطلوا أعمالكم إذا كذبتم ورددتم ما جاءكم من عند الله ومن عند رسول الله، قال: أطيعوا

طاعة قبول وإذعان، وحب ويقين، فإذا لم تقبل، ولم تذعن، ولم تحب، ولم تكن متيقناً من أوامر الله تعالى وتشريعه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ فقد بَطَلَ عملك وأصبحت من الخاسرين.

ومن فسر لا تبطلوا أعمالكم بالذنوب والآثام فقد أخطأ؛ ودليل ذلك الآية التي بعدها؛ حيث قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ [محمد: 47/ 34]، فتبين أن إبطال الأعمال يكون بالكفر والصدّ عن شريعة الله أيا كانت عقيدة أو أحكاماً.

وقد بين الله تعالى ذلك في بداية السورة فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: 47/ 8-9]، كرهوا كراهية مخرجة من الملّة لأنه أتبعها بكلمة: (فأحبط أعمالهم) كلمة: (حبط) تدل على الفساد والبطلان.

وقال اللّيث: الحبط وجع وانتفاخ في بطن البعير، يؤدي إلى وفاته، من أكله شيئاً ضاراً، فيقال: حبط البعير أي: انتفخ ومات، وأُخذ من ذلك: أن عمل المنافق والمشرك والمكذب والكاره لِما أنزَلَ الله ولما جاء به رسول الله ﷺ هذا يهلكه ويجعله خالداً في جهنم.

ولو استعرضنا الآيات لوجدنا الأعمال التي استخدمت فيها كلمة: (حبط) ومشتقاتها، وقد وردت مادة هذه الكلمة في القرآن في (16) موضعاً.

1- قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [البقرة: 2/ 217].

2- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: 3/ 21].

3- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: 5/ 51-53].

4- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: 7/ 147].

5- قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ [التوبة: 9/ 17].

6- قوله تعالى: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [التوبة: 9/ 69].

7- قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: 5/ 5].

8- قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: 6/ 88].

9- قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [هود: 11/ 15-16].

10- قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ

يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا﴾ [الكهف: 18/ 105-106].

11- قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: 33/ 19].

12- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر: 39/ 65-66].

13- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: 47/ 9].

14- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: 47/ 28].

15- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: 47/ 32].

16- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: 49/ 2].

وأريد أن ألخص الأعمال التي توقع الإنسان في الخسران المبين، وتُبطل ما له من أعمال يعتقد أنها حسنة (وذلك لكي نتجنب هذه الموبقات ونتجنب الخسران المبين، أعاذنا الله وإياكم من محبطات الأعمال):

1- الارتداد عن الدين، ويكون ذلك بالسب والشتم للمقدسات من سب الله والعياذ بالله أو سب الرسول ﷺ أو الدين أو القرآن، أو ردّ آيات القرآن وتكذيبها، أو ردّ الأحكام الشرعية المجمع عليها،

2- الاستهزاء بالدين وشعائره،

3- محبة غير شرع الله تعالى وتفضيل غيره عليه،

4- الشرك الأكبر والكفر بالدين أو بأحد المعتقدات الدينية المجمع عليها، أو الأحكام الشرعية المجمع عليها، أو ما عُرف من الدين بالضرورة.

5- والتكذيب بالآخرة أو بالغيبيات، هذه هي الأمور الأساسية، فمن أتى بها والعياذ بالله لم تنفعه صلاته وصيامه حتى يتوب ويستغفر ويرجع إلى الله سبحانه وتعالى. قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة: 9/ 65-66]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴾ [الكهف: 18/ 103-106].

وقال تعالى موضحًا حالهم يوم القيامة: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم: 14/ 18]، تصور أن أعمالهم أصبحت كالرماد تعصف بهذا الرماد الريح القوية في يوم عاصف، هل يبقى من هذا الرماد شيء؟ كذلك أعمالهم لا يبقى منها شيء وذلك لأنهم ارتكبوا الكفر والشرك والردة وإنكار الحق، واتباع الباطل، وكراهية الشرع والحق، ومحبة الكفر والباطل وأهله.

قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: 25/ 23]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [النور: 24/ 39].

والسراب هو انعكاس للشمس فقط، ولا وجود له في الحقيقة فهذا تصوير أشدّ وأبلغ؛ لأن الرماد في الآية التي قبله هو شيء، والهباء في الآية هو أيضًا شيء، ولكن السراب

لا شيء ولا حقيقة له، وكذلك أعمالهم يوم القيامة، هي كالسراب لا تفيدهم شيئًا؛ لأنها حبطت وذهبت، ولم يبق منها شيء والعياذ بالله، فإياك يا عبد الله أن تشرك مع الله أحداً في عبادتك وفي دعائك أو في تضرعك أو توسلك.

وقد أسس لهذا الرسول ﷺ عندما قال لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سأَلت فاسأَل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأُمة لو اجتمعت على أَن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» صحيح الترمذي.

الأملاك بيد الله تعالى، والمقادير بيده، له الحكم والأمر، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: 7/ 54-55]، ادعوه هو فقط، توسلوا إليه فقط، اسألوه فقط، توكلوا عليه فقط، حب الله ورسوله فقط في المنزلة والدرجة لقوله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار» متفق عليه.

والإخلاص من المهمات اللازمات، وهذا من التوحيد، وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ما له؟ قال ﷺ:لا شيء له، فأعاد عليه ثلاثًا، كل ذلك ورسول الله ﷺ يقول: لا شيء له، ثم قال ﷺ: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا وابتُغِيَ به وجهه» أبو داود والنسائي.

وإياك يا عبد الله أن تتألى على الله تعالى، فلا تتجاوز حدودك، ولا تفرض رأيك ولا تُلزم ربك بما تراه، ولا تكن حاكمًا على قلوب العباد وضمائرهم، ولا تتولَّ

مصيرهم، فالله سبحانه وتعالى هو الولي وهو الحاكم وهو الذي يقضي بين العباد، وهو الذي يعلم السر وأخفى، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان!! وأن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى عليّ ألا أغفر لفلان؟ قد غفرت لفلان وأحبطت عملك» مسلم (2621).

وهذا يدخلنا في إشكالية أخرى كبيرة، وهي القول على الله وعلى رسوله ﷺ بغير علم، والقول في دين الله تعالى بغير علم، وإعطاء الفتاوى والآراء والتفاسير الحديثية بغير علم ولا تَثَبُّت، والقول بالرأي؛ من الأمور المذمومة جداً، فعن عبيد الله بن أبي جعفر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أجرؤكم على الفتيا، أجرؤكم على النار» رواه الإمام الدارمي، وقال ﷺ: «إن كذباً عليَّ ليس ككذبٍ على أحد، من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» البخاري (1229)، وقال ﷺ: «من حدّث عني بحديث يُرى أنه كذب فهو من الكاذبين» مسلم.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: 6/ 21]،

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ [الأنعام: 6/ 93]،

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: 6/ 144]،

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: 7/ 37]،

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: 10/ 17]،

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [هود: 11/ 18-19].

(12) آية في القرآن الكريم تذم وتوبخ وتلعن من يكذب على الله وعلى رسوله ويُكذّب بدين الله والعياذ بالله، وقدابتلينا بالمدرسة العقلية أو العقلانية، وهؤلاء الذين يحكّمون عقولهم وآرائهم في الشريعة وفي أحكامها وفي تفسير آيات القرآن الكريم، وفي تفسير الأحاديث النبوية، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما تكلمت به ألسنتهم، وويل لهم مما يكسبون، لأنهم عملاء وأعداء لله تعالى وأعداء لدينه، يريدون إضلال الناس، وإضلال الجيل الناشئ، باعوا دينهم في سبيل مناصب زائلة ودراهم معدودة، باعوا آخرتهم بدنياهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: 16/ 20-26].

ثم إن هناك مشكلة أخرى، وهي عدم العلم بالقواعد الأصولية وبالقواعد الفقهية ولا يفرقون بين النصوص المطلقة والنصوص المقيدة، أو النص العام أو النص الخاص، ومرة سمعت أحد الخطباء وهو يقول: كل من يحلق لحيته فهو خالد مخلد في النار!! لأن رسول الله ﷺ قال في الحديث الصحيح: «هذه سنتي فمن رغب عن

سنتي فليس مني»، وبما أن اللحية هي من السنن الثابتة عن النبي ﷺ فمن حلقها فليس من النبي ﷺ في شيء!!

هذا الخطيب غفر الله له وردّه إلى الصواب لم يَعرف الفرق بين السنة التعبدية والسنة التشريعية:

السنة التعبدية يثاب فاعلها ولا يأثم تاركها، ولكن السنة التشريعية هي فرض وواجب يأثم تاركها، ولا يحق له التخلي عنها، ولو أن بعض الأساتذة يَرَوْن أن اللحية إما سنة مؤكدة جداً وهي شعار المسلم، ومنهم من يراها واجب لأن رسول الله ﷺ لما رأى الرجلين الروميين الحالقين لحيتهم، قال: «من أمركم بهذا؟! قالوا: ربنا -يَعْنُونَ ملكهم-، فقال: أما ربي فقد أمرني بهذا».

ومنهم من يرى اللحية سُنة، يثاب فاعلها ولا يأثم تاركها -والله أعلم- لكن أردت أن أوضح قضية الخلط، وذلك نتيجة عدم العلم الشرعي وعدم الإحاطة بعلم استنباط الأحكام علم الأصول الشرعية أو الفقهية.

وأخيراً أقول:

ثق بربك وثق برسولك من باب أن تعتمد على النص الصحيح والفهم الصحيح الذي جاءك من النبي ﷺ واتفقت الأمة من قديمها عليه، والذي يدعوني إلى هذا القول؛ كثرة الذين يدّعون الفهم الصحيح للدين ولآيات الله ولأحاديث رسول الله ﷺ فترى من يستقرئ، ويقيس الآيات، وينظر إليها بمنظار آخر غير الذي نظر به الصحابة والتابعين، فأقول عليك بالنص الصحيح، والفهم الصحيح الذي ورد عن النبي ﷺ وعن صحابته وعن التابعين، ففي هذا المسلك السلامة لأن رسول الله ﷺ قال: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» خ (2530) - م (4706).

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: 4/ 115].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين